ماتت شمعةٌ أخرى، لتعمق وحشة العتمة. قالت امرأة الحائط:

– هاتي قـدَمكِ، وقـولي أيَّ وَشْمٍ تريدين؟ أعرف جميعَ الزّخارف والنّقوش والأقـواس. سـأوشّي قـدميْك بطريقـة مذهلة. أنت لن تدركي طبعاً جمالهما، مادُمتِ ستمشين فوقهما. لكنّك ستَفْتَتِنين العشّاقَ إن أبصروا قدميك. ولو سألوك عن صاحبة الزّخارف، فلا تخبري أحداً، لأنّك لو فَعلتِ احْتَرقْ.

المرأة شُلّ لسانُهَا، فلم تكن تُجيب، ظلّتْ تحملق في خوفٍ جليديّ، وساقها ممدودة لا تملك من أمرها شيئاً، وامرأةُ الظلّ تعرك الحنّاء بتوتّر كبير، وتلعق فلا يستجيبُ لها ريقها، فتطالب بإراقة الماء، وترسم الدّوائرَ والخطوط.

قـالت لهـا: «رسـمتُ لكِ قـرنَ وعلٍ، وأسنانَ قِرْشٍ، وقـبـاباً وسـحـاباً. هاتِ اليسرى».

رسمتْ فيها حيّاتٍ وأسماكاً وتيساً.

لم يبق من عـمل إلاّ اللّمـسـات الأخيرة. امرأةُ الظلّ أخذت السكّينَ، بدتْ شفرته ملتمعةً في ضوء الشموع. قرّبَتْهُ من رجل المرأة بحـذر مـريب، سـوّتْ حـوافي القـدمين، بالغت في التـزويق. المرأة أرادت أن تجـذب رجلهـا. امـرأة الحائط أمسكتها بقوّة، وأمرتها أن تبقى هادئة.

عند الكعب أبصـرتْ عِـرْقـاً يخـفق بسرعةٍ شديدة. لامسـتْه بالسكّين فانبثق الدمُ سخيّاً حارّاً.

المرأة صـاحت: «ويحك مـاذا فـعلتِ بي؟» الأخرى أجابت: «لم أفعل شيئاً، فـقط أردتُ أن أخـضّب كـاملَ جسـمك حتّى يكون العرسُ تامَّ الشّروط».

الجسدُ ارتخى.

عجينُ الحنّاء تشقّق في الإناء.

المرأة واصلتْ تخضيبَ الجسد.

نبيبُ التّيس تَعَالَى.

الشمعةُ الأخيرة ارتجفت.

امرأة الحائط نزعتْ شالها، بسطته على الجَسَدِ المُسَجّى.

الحنّاء فاحتْ بطريقة خانقة.

الشمعة ماتت.

الغـرفـة غـرقتْ في الظّلمـة، وامـرأةُ الظلّ عادت إلى الجدار.

تونس

قصائد

كاظم الحجاج

(١) كاريكاتير،

إمرأةٌ حُبْلَى في آخرِ أيّام الحَمْل
تجلُس صاغرةً تتبسّم..
يَجلِسُ قُدّامَ المراةِ رجلٌ
– بثياب البيت –
يبدو شرساً، بشواربِ قرصانْ،
وبإحدى كفّيهِ عصاً؛
تتهدّدُ بطْنَ الحاملِ
والتعليق:
«فلْيتأدّب منذُ الآنْ!»

(٢) عارضة أزياء،

لم تأكل مِن عامينِ
سوى ما يسمح للعظم المشوقِ
بأنْ يبقى يتراقص تحت الجلدِ النّاعم
لِتقولَ:
بأنّ مجاعتَهم، لو حلّتْ،
فهيَ الأكثرُ إغراءً
مِن كُلِّ مجاعاتِ الفقراء!

(٣) تجنيس،

أجملُ موتٍ للسُكّر،
في أقداح الشاي..
ولهذا؛ ما أحلى ذوبانَ الشُعراء!

(٤) أجزاء المرأة،

فرحي قليلٌ في المرايا
ولأنّني أحببتُه؛
كسّرتُ مراتي ليكثُرَ
في.. الشظايا!

(٥) همسة،

الدمعةُ ماءٌ مسجون
ينتظر الحريّةَ
مِن حُزنٍ قادم!

(٦) المثل

السيد مخرجنا المغرور
أعطاني دَوْراً
ولأنّي مقبولٌ، من حيث الجثّةُ،
للدور.. وافقتُ
وقال المخرجُ:
– احفظْ دورَ السلطان العادل!
– ها.. ها.. (في سرّي طبعاً!)..
سلطانٌ عادل!
وكأيٍّ من أبناء الكلبِ ظهرت على
المسرح أقتل.. أشنق.. أمرح.
وتزوجت جميع نساء الدولةِ
(أعني كلّ بناتِ الكومبارس!)
لكنْ..
كان عليّ – أنا السلطانَ العادل –
أن أشنق شحّاذاً
من أجل رغيفٍ مسروق
.. أفسدتُ الدور!
لأنّي سامحتُ الشحّاذ
بل قبّلتُ يديه!

(٧) أمجاد،

حتى بين رصاصات الجنود
رصاصاتٌ محظوظةٌ:
تلك التي تخطئ أهدافَها
ورصاصات تعيسةٌ:
تلك التي ترتكبُ أمجادَ الحروب!

بغداد